الجنة! والله لتخرجنَّ إلى بانقيا[1] فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً ، ثم سلَّم الدرع إلى اليهودي . فقال اليهودي : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه ، فرضي به ، صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جملٍ أورق فالتقطتها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقال علي رضي الله عنه : هذه الدرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفرض له في تسعمئة ، فلم يزل معه حتى قُتل[2] .

* * *

القلوب ثلاثة :

. . . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة :

١ـ قلب عُمِّر بالتقوى ، وزكا بالرياضة ، وطهر عن خبائث الأخلاق ، تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب فينصرف العقل إلى التفكُّر ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه . . . وينظر الملك إلى القلب فيجده طيباً في جوهره ، طاهراً بتقاه ، مستنيراً بضياء العقل ، معموراً بأنوار المعرفة ، فعند ذلك يمدّه بجنود لا تُرى ، ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجرَّ الخير إلى الخير :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ـ٧] .

٢ـ القلب المخزول المشحون بالهوى ، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث ، المفتوح فيه أبواب الشياطين ، المسدود عنه أبواب الملائكة ، ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه ،

---

(١) بانقيا : هي ناحية من نواحي الكوفة كما ذكر ذلك ياقوت الحموي .

(٢) من الأغاني للأصفهاني : ١٧/ ٢١٩ .

ويألف العقل خدمة الهوى ويأنس به فيساعده لينشرح الصدر بالهوى ويقوى سلطان الشيطان فيزيِّن له ويوحي له زخرف القول غروراً ، ليضعف سلطان الإيمان ويخبو نور اليقين ، حينها يعمى القلب تماماً :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[الفرقان : ٤٣ـ٤٤] .

٣ـ قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث بشهوتها إلى خاطر الشر ، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم. . . وهكذا بين جذب للشر وجذب للخير ، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية غلب الشيطان ، وإلا كان من حزب الله وأوليائه ، كذلك فمن خُلق للجنة يُسِّرت له أسباب الطاعات ، ومن خُلق للنار يُسِّرت له أسباب المعاصي :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾[1] [الأنعام : ١٢٥] .

* * *

هل تلومني إذا هزلت ؟!

قال أبو حازم (سلمة بن دينار) عالم المدينة المنوَّرة وقاصّها :

قدمت على الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو بخُناصرة[2]

---

(١) باختصار من إحياء علوم الدين : ٣/ ١٦٨ .

(٢) خناصرة : بلدة صغيرة في سورية تابعة لحلب ، في محاذاة قِنَّسْرِين من ناحية البادية .